

# خَلَقُ الْإِنْسَانَ

## مِيزَانُ الْقُرْآنِ

بمكة المكرمة  
محمد أحمد العزب

### خلق (الإنسان) في ميزان القرآن :

وحين يتعمد (الإنسان) على خلقه ، وهو ذرة من ذرات كون معجزة بموج بلايين الذرات والجزيئات ، يسجل القرآن الكريم عليه هذا التمرّد الطائش بكل الوانه ورواياه

فمن ثمرد نفعى يتعلّق في ضراعة الإنسان في الشدة وتمرده في الرخاء ، ومسرته في العطاء وكفره في المنع ..

إلى ثمرد نرق يلوح في بطن الإنسان في التعمّة ويأسه في الحرمان إلى ثمرد مغلق يتحدس في طمس الإنسان لبصيرة الوعي فيه بكل ما حوله من مفاتر الطبيعة والآء الوجود ..

إلى ثمرد جاهل يتبدى في عجز الإنسان عن الاحاطة بكلية الظاهرة الحيوية ، وانحصاره في واقع التفكير المادي الذي يعيشه دون الاقتدار على التحليق المطلوب إلى ما وراء هذا الواقع المادي ولكن القرآن الكريم لا يكتفى في حديثه عن الإنسان متمرداً بل يلفظ (الإنسان) بمجرد تسجيل ظواهر التمرد الانساني ، وإنما يحاول أن يقتلع جذور هذه الظواهر ، حتى يعود بالإنسان إلى أوج إنسانيته الصافية المريدة لخالقها ، فبلفتته في مواطن كثيرة إلى سذاجة عناصره ، طينية كانت لم تطفة ، فهو في إطار العنصر الطيني قمضة من الأرض التي تدوسها قدماه ، منها خلق ، وفيها يعاد ، ومنها يخلق تارة أخرى .. وهو في إطار العنصر النطقي ، كائن متخلف من عبي يسمى .. فعلام التمرد ، ولماذا الانفلات ..

### الخالقية والمخلوقية :

إن حديث القرآن عن الإنسان من هذه الوجهة لا يعنى تحقيره أو تشويه صورته ، وإن بدا حديثاً قارساً بعض الشيء ، ولا فحاً بعض الشيء .. لأن لفت الإنسان إلى طبيعة عناصره الأولية الساذجة ، طينية ونطقية ، يتم في القرآن الكريم من خلال الحديث عن (الخالقية) و (المخلوقية) ، وما يجب أن يربط بينهما من علاقات إقرار المخلوق للخالق ، وإذعان (الإنسان) (لله) .. لا أن يتمرد هذا الإنسان على قضية القضاء والقدر باليأس والكفر والبطر والتجديف ، أو على قضية (المخلوقية) لله بالمواجهة والغف والمصادرة والتكذيب .. فإن هو

فعل في لونه نسيانه أو اغتراره .. كان من حق كلمات الله الخالق أن تقفه على حمة الحقيقى ، وأن تذكره بأنه لن يستطيع أن يكون سوى طير من الطير ، أو علق متختر يمكن أن يحصى على قارعة الطريق .. ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون .. (الحجر : ٢٦)

.. ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طير .. (المؤمنون : ١٢) ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .. (السجدة : ٧)

.. خلق الإنسان من صلصال كالفخار .. (الرحمن : ١٤) ، خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين .. (المحل ٤)

.. أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين .. (يس : ٧٧)

.. أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً .. (الإنسان : ٣)

.. فلينظر الإنسان مم خلق .. خلق من ماء دافق .. يخرج من بين الصلب والترائب .. أنه على رجعه لقادر .. يوم تفتى السرائر .. فما له من قوة ولا ناصر .. (الطارق : ٥ - ١٠) ، خلق الإنسان من علق .. (العلق : ٢)

والماتمل لأيات الخلق من طين يلاحظ أنها وردت في سياق التدليل على قدرة الخالق وروحه ، فهي محوطة بحس الإعجاز والأبداع .. ولكن سياق الآيات الأخرى الدالة على الخلق من نطفة يوحي بحس التهوين من كبرياء هذا المخلوق النرق .. إن في الأولى انتصافاً لكرامة الإنسان السوي .. وفي الثانية كبحاً لجماع هذا الإنسان حين يلفظ سواءه ، والسباق القرآني العظيم يضع كلا من هاتين القضيتين موضعاً موجي المنير .. فهو في آيات الخلق من طين يقارن بين طبيعة الإنسان وطبيعة الشيطان ، ويدلل بأن هذا الخلق وإن كان من عنصر أرضي متواضع إلا أنه أية أعجازه وروحه إتقانه ، يؤكد بأن الذي استطاع أن يخلق هذا الكائن العظيم من هذا العنصر المتواضع قادر على أن يحييه بعد الموت ، ويبعثه من جديد ، وينشئ النشأة الأخرى .. ولكنه في آيات الخلق من نطفة يتوجه إلى الإنسان نفسه أساساً